المحاضرة الخامسة: صفات الباحث

إن الباحث شخص متميز يملك صفات ومؤهلات لا يمكنه القيام بعملية البحث بدونها، لأن غيابها يفقد عمله الصبغة العلمية المطلوبة، وتتفرع الى فرعين: أخلاقية وعلمية.

أ ـ الصفات الاخلاقية:

1 ـ الموضوعية والتجرد من العاطفة: حتى تكون أحكام الباحث حيادية بعيدة عن التحيز أو التعصب مهما كان نوعه، ذلك أن العاطفة كثيرا ما أفسدت أعمال الباحثين وأهدرت جهودهم في غير فائدة، فالحقيقة عند الباحث يجب أن تكون هي كل شيء، لأن هدفه يكمن في الوصول إليها سواء اتفقت مع أفكاره وميوله أو اختلفت أو تعارضت بعيدا عن كل الاعتبارات والخلفيات الخارجة عن إطار البحث.

2 ـ التأني وعدم الاستعجال في الأحكام: أو افتراض حقائق أو نتائج مسبقة، إذ يجب على الباحث ترك القيادة لسير البحث والحقائق التي ينتهي إليها من خلال ما يستخلصه من المادة ولا يعنيه إن كانت النتائج توافق أفكاره وميولاته أو متناقضة معها.

3 ـ الصبر: وذلك بتحمل مشاكل البحث وأتعابه وما أكثرها فقد توصل الباحث إلى حد اليأس وفقدان الثقة.

4 ـ التواضع: واحترام آراء الغير ونقد أقوالهم إن اقتضى الأمر ذلك بأدب واحترام دون تضخيم أو تهكم أو تجريح شخصي.

5 ـ الأمانة العلمية والضمير: ويعني ذلك أن ينقل الباحث رأي أو خبر غيره في دقة دون تحريف أو تزييف بالزيادة أو النقصان ونسبته إلى صاحبه بعيدا عن التشويه والتزويق، وأن لا يجعل الباحث المناقشة مناظرة أو منافسة أو اللجوء إلى الكذب والعبث بالنصوص المقتبسة، فعلى الباحث أن يعرض آراء وحجج الآخرين كما وردت، ولا مانع بعد ذلك أن يبدي برأيه إن كان الأمر يقتضي ذلك.

ب ـ الصفات العلمية:

1ـ القراءة الواسعة: بحيث تكون قراءة الباحث مركزة ونقدية وواعية تمكنه من الفهم والتحصيل، ولا ينبغي أن يكتفي الباحث في بحثه بالاطلاع على مصادر أو مراجع محدودة معينة وإنما عليه تتبع الموضوع من جميع جوانبه، وأن يقرأ كل ما له صلة من قريب أو من بعيد بحثه، مبتدئا بالمصادر فالمراجع فالرسائل الجامعية والمجلات التي لها صلة بالموضوع المدروس، كما يجب أن لا تكون هذه القراءة مقتصرة على حدود زمنية معينة بل ينبغي أن تكون ممتدة شاملة، فهذه القراءة الواسعة الواعية النقدية هي التي توسع من دائرة معارف الباحث لمحتوى بحثه، وبها تتضح له الرؤية وتسهل عليه عملية الدراسة والموازنة والنقد والتحليل والمناقشة وإبراز شخصية الباحث في ثنايا البحث وأقسامه.

2 ـ القدرة على التنظيم والعرض المنطقي: إن هذا شرط في أي بحث وأمر لابد منه سواء ما يتعلق بخطة الموضوع أو بأفكاره ومعانيه وإلا كان ضربا من الفوضى أو التناقضات وعرضا لا نظام فيه ولا رابط يربط أجزاءه برباط التناسق المنهجي والفكري. إن هندسة مادة الموضوع أمر ضروري ولا خير في مادة بحث تعرض مفككة

مشتتة، فكثرة معلومات الباحث في بحثه قد لا تجعله باحثا جادا إن عجز عن التنظيم، فعلى الباحث أن يكون بناءا ماهرا ومهندسا بارعا يبني بمادة بحثه عمارة متناسقة تبهر الناظرين.

3 ـ الفهم الدقيق وإمعان النظر في الآراء: إن الباحث الذي يتسرع في عمله يخطئ، ويخطئ أيضا في فهم محتوى مادة أو نصوص بحثه، وسيكون معرضا لا محالة للتناقضات والتأويلات وإصدار الأحكام الخاطئة أو المتناقضة، و لتجنب ذلك ينبغي عليه أن يكون دقيق الفهم وان يتريث فيما يصدر من أحكام، وان لا يتأثر بشهرة من ينقل عنهم أو يغتر بمكانتهم العلمية إلا بقدر ما توحي به آراؤهم من حقائق علمية صحيحة.

4 ـ الاجتهاد وحضور الشخصية: بمعنى أن لا يقتصر عمل الباحث على جمع المادة وتصنيفها، بل يتعدى إلى عملية الشرح والتحليل والمناقشة والاستنتاج، وإبراز أوجه الصواب والخطأ، وان يستعرض ويفحص آراء وأقوال الغير، فيفاضل بينها ويرجح رأيا على رأي ويصوب الآخر، أو يقبل رأيا ويرفض أخر معتمدا في ذلك على الحجج والبراهين العقلية والنقلية...

5 ـ الشك والتثبيت: إن الشك من أسلحة الباحث، وعليه أن يشك فيما يقرأ أو ينقل مهما بلغت قيمة مصدر النص الذي نقل عنه، أو شهرة صاحبه، فلا ينقل إلا بعد أن يتأمل المعلومات ويفحصها بالمقاييس العلمية ـ إلا ما تعلق بالقران الكريم والسنة النبوية الصحيحة ـ فالشك طريق اليقين، ويعني هذا أن لا يقبل الباحث كل ما يقرأ أو يسمع دون نظرا أو تمعن ونقد وتحليل. وهذا النوع من الشك إنما هو شك علمي بناء، يبغي وجه الحقيقة، ومظهر حضاري ودليل على صحة العقل، وهو ثمرة للذكاء والملاحظة الواعية. أما الشك الذي يراد به المغالبة والمشاحنة وتغليب الباطل على الحق فهو خارج حدود الشك العلمي، بل هو منبوذ في حقل البحث العلمي.

6 ـ القدرة على التصوير الفني السليم: قد يقبل من الباحث عجزه في الإتيان بجديد المعلومات في بحثه، ولكن لا يقبل منه عجزه في التصوير الفني السليم لما في فكره من معلومات.

7 ـ معرفة لغات وثقافات أخرى: من الأمور التي أضحت ذات أهمية في مختلف البحوث: معرفة اللغات والثقافات الأجنبية، وذلك لما تفتحه للباحث من أبواب كانت موصدة، وما تزيده من معلومات من مصادر ومراجع أجنبية، لم تكن في لغته الأصلية. كما أن الباحث المثقف تكون لديه معرفة بجميع وجهات القضية التي يدرسها، وبذلك يستطيع أن يلج دراسة الظاهرة باستحقاق وتميز.